تقول كتبته كتابًا وعلمته الكتاب والحساب وفي القرآن: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ ﴾ [الأنعام:٧] أي كتابًا في قرطاس ولو كان الكتاب هو المكتوب لم يحسن ذكر القرطاس.

«الفرق» بين الكتاب والسفر أن السفر الكتاب الكبير، وقال الزجاج: الأسفار: الكتب الكبار وقال بعضهم: السفر الكتاب يتضمن علوم الديانات خاصة والذي يوجب الاشتقاق أن يكون السفر الواضح الكاشف للمعاني من قولك أسفر الصبح إذا أضاء، وسفرت المرأة نقابها إذا ألقته فانكشف وجهها وسفرت البيت كنسته وذلك لإزالتك التراب عنه حتى تنكشف أرضه وسفرت الريح التراب أو السحاب إذا قشعته فانكشفت السماء.

«الفرق» بين الكتابة والمجلة أن المجلة كتاب يحتوي على أشياء جليلة من الحكم وغيرها قال النابغة:

مجلَّتُهم ذاتُ الإلـــه ودينـهم ... كريمٌ به يرجعون حُسْنَ العَواقِبِ

ولا يقال للكتاب إذا اشتمل على السخف والمجون وما شاكل ذلك مجلة.

البابُ التّاسِعُ والعِشْرُونَ

في الفرق بين غاية الشيء ومَداه، ونهايته، وحَدّه وآخره وما يجري مع ذلك

«الفرق» بين غاية الشيء والمَدَى[1] أن أصل الغاية الراية وسميت نهاية الشيء غايته لأن كل قوم ينتهون إلى غايتهم في الحرب أن رايتهم، ثم كثر حتى قيل لكل ما ينتهي إليه غاية ولكل غاية نهاية، والأصل ما قلناه، ومدى الشيء ما بينه وبين غايته والشاهد قول الشاعر:

ولَمْ نَدْرِ إنْ خُضْنَا من الموت خَيْضَةً ... لِمَ العُمْرُ بَـاقٍ والمَـدَى مُتطاوِلُ؟

يعني مدى العمر والمعنى أن الأمل منفسح لما بينه وبين الموت، ومن ذلك قولهم هو مني مدى البصر أي هو حيث يناله بصري كأن بصري ينفسح بيني وبينه، ثم كثر ذلك حتى قيل للغاية مدى كما يسمى الشيء باسم ما يقرب منه.

«الفرق» بين الأمد والغاية أن الأمد حقيقة والغاية مستعارة على ما ذكرنا ويكون الأمد ظرفًا من الزمان والمكان فالزمان قوله تعالى: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ ﴾ [الحديد:١٦] والمكان قوله تعالى: ﴿ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران:٣٠].

(١) المدى: بفتح الميم والدال: المسافة والغاية، ويقال: مدى البصر: مُنتهاه وغايته، ومدى الصوت ومدى الأجل ويقال: لا أفعل ذلك مدى الدهر: أي طوله.

«الفرق» بين آخر الشيء ونهايته أن آخر الشيء خلاف أوله وهما اسمان، والنهاية مصدر مثل الحماية والكفاية إلا أنه سمي به منقطع الشيء فقيل هو نهايته أي منتهاه، وخلاف المنتهى المبتدأ فكما أن قولك المبتدأ يقتضي ابتداء فعل من جهة اللفظ وقد انتهى الشيء إذا بلغ مبلغًا لا يزاد عليه وليس يقتضي النهاية منتهي إليه ولو اقتضى ذلك لم يصح أن يقال للعالم نهاية وقيل الدار الآخرة كما قيل: مسجد الجامع، والمراد مسجد اليوم الجامع ودار الساعة الآخرة، وأما حق اليقين فهو كقولك محض اليقين ومن اليقين وليس قولك من يقول هذه إضافة الشيء إلى نعته بشيء؛ لأن الإضافة توجب دخول الأول في الثاني حتى يكون في ضمنه، والنعت تحلية وإنما يحلى بالشيء الذي هو بالحقيقة ويضاف إلى ما هو غيره في الحقيقة، تقول: هذا زيد الطويل فالطويل هو زيد بعينه ولو قلت زيد الطويل وجب أن يكون زيد غير الطويل ويكون في تلك الطويل، ولا يجوز إضافة الشيء إلا إلى غيره أو بعضه فغيره نحو عبد زيد وبعضه نحو ثوب حرير وخاتم ذهب أي من حرير ومن ذهب، وقال المازني: عام الأول إنما هو عام زمن الأول.

«الفرق» بين الآخَر والآخِر أن الآخَر بمعنى ثان وكل شيء يجوز أن يكون له ثالث وما فوق ذلك يقال فيه آخر ويقال للمؤنث أخرى وما لم يكن له ثالث فما فوق ذلك قيل الأول والآخر ومن هذا ربيع الأول وربيع الآخَر.

«الفرق» بين الحد والنهاية والعاقبة أن النهاية ما ذكرناه، والحد يفيد معنى تمييز المحدود من غيره، ولهذا قال المتكلمون حد القدرة كذا وحد السواد كذا وسمي حدًّا لأنه يمنع غره من المحدود فيها هو حد له وفي هذا تمييز له من غيره، ولهذا قال الشروطيون اشترى الدار بحدودها ولم يقولوا بنهاياتها لأن الحد أجمع للمعنى، ولهذا يقال للعالم نهاية ولا يقال للعالم حد، فإن قيل فعلى الاستعارة وهو بعيد، وعندهم أن حد الشيء منه فقال أبو يوسف والحن بن يزاد: إذا كتب حدها الأول دار زيد دخلت دار زيد في الشراء، وقال أبو حنيفة لا تدخل فيه وإن كتب حدها الأول المسجد وأدخله فسد البيع في قولها وقال أبو حنيفة لا يفسد، لأن هذا على مقتضى العرف وقصد الناس في ذلك معروف، وأما العاقبة فهي ما تؤدي إليه التأدية والعاقبة هي الكائنة بالنسب الذي من شأنه التأدية وذلك أن السبب على وجهين مولد ومؤد وإنما العاقبة في المؤدى فالعاقبة يؤدي إليها السبب المقدم وليس كذلك الآخرة لأنه قد كان يمكن أن تجعل هي الأولى في العدة.

«الفرق» بين الجانب والناحية والجهة، قال المتكلمون: إن جانب الشيء غيره وجهته ليست غيره، ألا ترى أن الله تعالى لو خلق الجزء الذي لا يتجزأ منفردًا لكانت له جهات ست بدلالة أنه يجوز أن تجاوره ستة أجزاء من كل جهة جزء ولا يجوز أن يقال إن له جوانب؛ لأن جانب الشيء ما قرب من بعض جهاته، ألا ترى أنك تقول للرجل خذ على جانبك اليمين؟ تريد ما يقرب من هذه الجهة لو كان جانبك اليمين أو الشمال منك لم يمكنك الأخذ فيه، وقال

بعضهم: ناحية الشيء كله وجهته بعضه أو ما هو في حكم البعض، يقال: ناحية العراق أي العراق كلها وجهة العراق يراد بها بعض أطرافها، وعند أهل العربية أن الوجه مستقبل كل شيء، والجهة النحو يقال كذا على جهة كذا قاله الخليل، قال ويقال رجل أحمر من جهته الحمرة وأسود من جهة السواد، والوجهة القبلة قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾[البقرة:١٤٨] أي في كل وجه استقبلته وأخذت فيه، وتجاه الشيء ما استقبلته يقال: توجهوا إليك ووجهوا إليك كل يقال غير أن قولك وجهوا إليك على معنى ولُّوا وجوههم والتوجه الفعل اللازم والناحية فاعلة بمعنى مفعولة وذلك أنها منحوة أي مقصودة كما تقول راحلة وإنما هي مرحولة وعيشة راضية أي مرضية.

«الفرق» بين الجانب والكَنَف أن الكنف هو ما يسد الشيء من أحد جانبيه ولهذا يستعمل في المعونة فيقال أكتب الرجل إذا أعانه وكنفته إذا حطته وكنفت الإبل إذا حطتها في حظيرة من الشجر، ويجوز أن يقال فرق بين الجانب والكنف أن الكنف هو الجانب المعتمد عليه وليس كذلك الجانب.

البَابُ الثَّلاثُونَ

فِي الفَرْقِ بَيْنَ أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ

«الفرق» بين الهبوط والنزول أن الهبوط نزول يعقبه إقامة، ومن ثم قيل هبطنا مكان كذا أي نزلناه ومنه قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾[البقرة:٦١] وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾[البقرة:٣٨]ومعناه انزلوا الأرض للإقامة فيها، ولا يقال هبط الأرض إلا إذا استقر فيها ويقال نزل وإن لم يستقر.

«الفرق» بين الظعن والرحل أن الظعن هو الرحيل في الهوادج[1] ومن ثم سميت المرأة إذا كانت في هودجها ظعينة ثم كثر ذلك حتى سميت كل امرأة ظعينة، والظعان حبل يشد به الهودج قال الشاعر:

* كَمَا حَادَ الأَرِبُ عن الظعَانِ *

والمظعون المشدود بالظعان، ثم كثر الظعن حتى قيل لكل رحل ظعن والأصل ما قلناه.

«الفرق» بين الهنيء والمريء أن الهني هو الخالص الذي لا تكدير فيه ويقال ذلك في الطعام وفي كل فائدة لم يعترض عليها ما يفسدها، والمريء المحمود العاقبة يقال مريء ما فعلت أي أشرفت على سلامة عاقبته، وقال الكسائي تقول هناني الطعام ومراني الطعان بغير ألف فإذا أفردت قلت أمراني بغير همز، وقال المبرد: هذا الكلام لو كان له وجه لكان قمنًا أن يأتي فيه

(١) الهَوادج: جمع هَوْدج، وهو أداة ذات قُبَّة توضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء.